





دائرة الشؤون الإسلامية
والعمل الخيري

ISLAMIC AFFAIRS & CHARITABLE
ACTIVITIES DEPARTMENT

حكومة دبي
GOVERNMENT OF DUBAI

الإمام القرافي وتجربته في الحوار مع الآخر

د. عبد الحكيم الأنيس

كبير باحثين بإدارة البحوث

تدقيق التصحيح
شروق محمد سلمان

إخراج
محى الدين حسين يوسف

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨ م

دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي
إدارة البحوث

هاتف: ٦٠٨٧٧٧٧ ٤ ٩٧١ + فاكس: ٦٠٨٧٥٥٥ ٤ ٩٧١ +

الإمارات العربية المتحدة ص. ب: ٣١٣٥ - دبي

www.iacad.gov.ae mail@iacad.gov.ae

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

افتتاحية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين..

وبعد: فيسر « دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي - إدارة البحوث » أن تقدم إصدارها الجديد « الإمام القرافي وتجربته في الحوار مع الآخر » لجمهور القراء من السادة الباحثين والمثقفين والمتطلعين إلى المعرفة.

وهذه الرسالة تتولى الكشف عن تجربة مميزة لعالم مميز من علماء المسلمين في حوارهِ مع الآخر في ميدان الأديان.

ونحن اليوم بأمس الحاجة إلى إبراز التجارب الغنية الناصعة التي تسد المسار، وترشد المنهج، وتضع تحت يدي القائمين على مثل هذه الحوارات معلومات مهمة، وتفتح لهم آفاقاً واسعة.

وهذا الإنجاز العلمي يجعلنا نقدم عظيم الشكر والدعاء
لأسرة آل مكتوم حفظها الله تعالى التي تحب العلم وأهله،
وتؤازر قضايا الإسلام والعروبة بكل تميز وإقدام، وفي
مقدمتها صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد بن سعيد
آل مكتوم، نائب رئيس الدولة، رئيس مجلس الوزراء، حاكم
دبي الذي يشيد مجتمع المعرفة، ويرعى البحث العلمي ويشجع
أصحابه وطلابه .

راجين من العلي القدير أن ينفع بهذا العمل، وأن يرزقنا
التوفيق والسداد، وأن يوفق إلى مزيد من العطاء على درب
التميز المنشود.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على
النبي الأمي الخاتم سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مدير إدارة البحوث

الدكتور سيف بن راشد الجابري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله، وصلى الله وسلم على نبيه ومصطفاه، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد: فإن للحوار قيمة كانت وما زالت موضع تقدير واحترام، إذ به يتم التواصل بين المختلفين والمتفقيين، وتستخرج الآراء، وتنمو الأفكار، ويكتشف المجهول، ويُنقح المعلوم، وقد رعت الحضارة الإسلامية الحوار بأقسامه وأنواعه المتعددة، حوار المسلم مع المسلم، ومع غير المسلم، وحوار الداخل والخارج، وحوار المذهب والمشرّب، ومن ذلك حوار الأديان، وكان لعلماء المسلمين في كل ذلك صولات وجولات، وإسهامات كبيرة كُشف عن بعضها، وما زال البعض الآخر بحاجة إلى كشف وتجلية.

وفي هذه الصفحات أتناول التعريف بجهود عالم من هؤلاء العلماء عاش في القرن السابع الهجري، ورأى الصراع في العالم: بين الشرق والغرب، بين الإسلام والنصرانية والوثنية، صراع الفكر والسيف، والعلم والجهل، والإنصاف والعصية، والحضارة والتخلف، ولما كان هو من أهل الفكر فقد دخل ميدان الصراع من هذا الباب، محاوراً ومناظراً ومجادلاً، وأجاب عن الشبهات والأسئلة التي يعرضها الطرف الآخر، وطرح أسئلة كثيرة جداً على هذا الطرف تبين قوة الموقف الإسلامي وصلابته، وزاد على هذا باستخراج نصوص من كتب القوم تبشر بالنبي ﷺ، فكشف بهذا عن علم عميق بما لدى الآخرين من عقيدة وثقافة وسلوك، ذلك هو الإمام شهاب الدين القرافي «شيخ المعقولات في عصره»^(١)

(١) وصفه بهذا الإمام فتح الدين محمد ابن سيد الناس. الوافي بالوفيات (٢/ ١٢٢).

صاحب كتاب «الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة»
الذي احتل مكانة بارزة في سلسلة الكتب التي تولت
الدفاع عن الإسلام، بدحض الشبهات وإظهار المحاسن،
والدعوة إلى الله على بصيرة.

وقد تناولت الحديث عنه - بعد درس كتابه «الأجوبة
الفاخرة» هذا ^(١) دراسة متأنية - تحت العناوين الآتية:
١ - التعريف به وبكتابته.

(١) أما «أدلة الوجدانية في الرد على النصرانية» المطبوع منسوباً
إليه فلم أعتمده فمن الواضح أنه ليس له، إذ قدّمه مؤلفه
إلى السلطان الكامل [الأيوبي] كما في مقدمته ص ١٩ -
٢٠، وهو قد توفي سنة ٦٣٥ هـ كما في سير أعلام النبلاء
(٢٢ / ١٣١)، وولد القرافي سنة ٦٢٦ هـ كما قال عن نفسه
في العقد المنظوم (١ / ٥٥٠)، ثم إن أسلوبه لا يشبه أسلوب
القرافي، وللکلام صلة.

٢- أساليبه في الحوار:

أ) أسلوب الدفاع، وتمثل في:

١- الرد على الشبهات المكتوبة.

٢- الرد على أسئلة مثارة، متداولة ومنتوقعة.

ب) أسلوب الهجوم، وتمثل في:

١- إيراد أسئلة على الطرف الآخر.

٢- إيراد البشائر بالنبي ﷺ من كتبهم.

٣- أهدافه:

أ) تقوية المسلمين وتثبيتهم.

ب) دعوة الآخر إلى الإسلام.

٤- لغته.

٥- مصادره.

٦- ملامح عامة في حوارهِ.

٧- نتائج البحث والتوصيات.

ومن الله نستمد العون والتوفيق^(١).

د. عبد الحكيم الأنيس

(١) أصل هذه الرسالة بحث شاركت به في مؤتمر « الحوار مع الآخر في الفكر الإسلامي » الذي عقدته كلية الشريعة بجامعة الشارقة بالتعاون مع دائرة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالشارقة في الأيام ١٦-١٨ من نيسان (٢٠٠٧م).

١ - التعريف بالقراقي وكتابه:

هو الإمام الكبير أحمد بن إدريس القراقي الصنهاجي الأصل^(١). أصله من قرية بكورة بوش من صعيد مصر،

(١) تنظر ترجمته في:

- تاريخ الإسلام ط عمر تدمري (١٧٦/٥١) وترجمته مضافة عليه، ولم ترد في طبعة د. بشار عواد معروف.
- الوافي بالوفيات (٢٣٣/٦)، وله ذكر في ترجمة القرطبي المفسر (١٢٢/٢)، وكانا صديقين.
- الديباج المذهب (١/٢٣٦).
- المنهل الصافي (١/٢٣٢).
- الدليل الشافي على المنهل الصافي (١/٣٩).
- تحفة الأديب في نحاة مغني اللبيب (٢/٦٧٢).
- حسن المحاضرة (١/٢٧٢).
- درة الحجال في أسماء الرجال (١/٨).
- كشف الظنون (مواضع متعددة).
- تذكرة المحسنين بوفيات الأعيان وحوادث السنين ص ٤٣٠.
- روضات الجنات (١/٣٤٧).
- هدية العارفين (١/٩٩).
- إيضاح المكنون (مواضع متعددة).

=

وقد ولد فيها سنة ٦٢٦هـ، ورحل إلى القاهرة لطلب

- = - معجم المطبوعات العربية والمعرية ص ١٥٠١ .
 - السر المصون على كشف الظنون ص ١٣٧ و ٢٤٧
 - شجرة النور الزكية ص ١٨٨ .
 - الفكر السامي (٢/ ٢٣٣) .
 - الأعلام (١/ ٩٤) .
 - معجم المؤلفين (١/ ١٠٠) .

* ومن الدراسات الحديثة:

- مقدمة كتاب «الإحكام» تحقيق الأستاذ أبو غدة ص ٢١-٢٩ .
 - مقدمة كتاب «الاستغناء» تحقيق د. طه محسن ص ٦-٣٣
 - مقدمة كتاب «الذخيرة» تحقيق محمد حجي وآخرين
 (١/ ٩-١٥) .
 - مقدمة كتاب «العقد المنظوم» تحقيق محمد علوي بنصر
 (١/ ٣٤-٥٧) .
 - مقدمة كتاب «العقد المنظوم» تحقيق د. أحمد الختم عبدالله
 (١/ ٣٠-٦١) .
 - مقدمة كتاب «الفروق» تحقيق عمر القيام (١/ ٢٠-٣٤) .
 - وللدكتور طه محسن: «أسماء الكتب التي خلفها شهاب
 الدين القرافي الفقيه المهندس» مقال في مجلة الرسالة
 الإسلامية ببغداد، العدد (١٥٣)، ١٩٨٣ م.

العلم، ونسب إلى القرافة لأنه سكنها مدة يسيرة، وأخذ
عن أئمة العصر، وتميّز واشتهر، ودرّس في عدد من
المدارس، وألّف في عدد من العلوم، وتوفي سنة ٦٨٤ هـ
- على الصحيح -، ودفن في القرافة التي نُسب إليها.
وكان من مفاخر عصره علماً وتفناً، وتوقداً وذكاءً،
وتنقيحاً وتصحيحاً.

أقوال العلماء فيه:

* قال الذهبي - ومن بعده الصفدي وابن تغري
بردي -: « كان إماماً في أصول الدين، وأصول الفقه،
عالماً بمذهب مالك، وبالتفسير، وعلوم آخر ... صنف
في أصول الفقه الكتب المفيدة الكثيرة، واستفاد منه
الفقهاء ».

* وقال ابن فرحون: « هو الإمام الحافظ، والبحر اللافظ، المفوه المنطيق، والآخذ بأنواع الترصيع والتطبيق، دلت مصنفاته على غزارة فوائده، وأعربت عن حسن مقاصده، جمع فأوعى، وفاق أضرابه جنساً ونوعاً ».

* وقال عبد الكبير الفاسي: « الإمام المتبحر في علوم الدين، المعداد من الأئمة المجتهدين ».

* وقال مخلوف: « الإمام العلامة، الحافظ الفهامة، وحيد دهره، وفريد عصره، المؤلف المتفنن، شيخ الشيوخ، وعمدة أهل التحقيق والرسوخ، ومصنفاته شاهدة له بالبراعة، والفضل واليراعة ».

* وقال الزركلي: « كان مع تبحره في عدة فنون، من البارعين في عمل التماثيل المتحركة في الآلات الفلكية وغيرها ... ».

كتابه « الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة »:

لم يكن القرافي مكثراً من التأليف، ربما لأنه لم يعمر كثيراً، وربما لأنه كان ينصرف إلى تجويد كتبه تجويداً بالغاً، وربما للسببين معاً، وقد كان حريصاً على تحرير العلوم، منصرفاً إلى ذلك، قال الشيخ شمس الدين ابن عدلان الشافعي: أخبرني خالي الحافظ شيخ الشافعية بالديار المصرية أن شهاب الدين القرافي حرر أحد عشر علماً في ثمانية أشهر، أو قال: ثمانية علوم في أحد عشر شهراً^(١).

وكتابه « الأجوبة الفاخرة » من الكتب المحررة الجادة، وقد افتتحه بمقدمة بين فيها سبب تأليفه، وخطته في ترتيبه على أربعة أبواب، ونصّ على اسمه.

وقد حاولت معرفة تأريخ تأليفه فلم أستطع إذ لم أجد فيه ما يساعد على ذلك، لكنني رأيت أحال على كتبه

(١) الديباج المذهب (١/ ٢٣٨).

الكلامية ومنها شرح الأربعين للإمام فخر الدين الرازي،
مما يشير إلى أنه متأخر نوعاً ما.

وهذا الكتاب نسبه إليه ابن فرحون^(١).

وطبع أول مرة على هامش كتاب الفارق بين المخلوق
والخالق للباجه جي بمصر سنة ١٣٢٢ هـ.

ثم قام بتحقيقه الدكتور بكر زكي عوض على
نسختين في دار الكتب المصرية، وطبع طبعته الثانية سنة
١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م وجاء في (٤٨٤) صفحة مع تعليقات
مطولة.

وعلى الرغم من الجهد الذي بذله المحقق إلا أن
الكتاب ما زال بحاجة إلى تحقيق جديد يُدقق فيه نصه،
ويُضبط، ويُربط بمصادره المطوية، ويُصف بحرف جميل.
وقد وقعت للمحقق هفوات في قراءة النص، وفي بعض

(١) الديباج المذهب (١/ ٢٣٧).

التعليقات، وليس هذا موضع بيانها، كما أنه لم يقيم بدراسة تحليلية له.

ثم طبعته دار الكتب العلمية بيروت ثم دار ابن الجوزي بمصر!

وعلمت من مقدمة الأستاذ محمد علوي بنصر لـ «العقد المنظوم» أن الباحث سالم القرني حقق بابين من الكتاب في رسالة ماجستير سنة ١٤٠٤ هـ في كلية أصول الدين بجامعة الإمام في الرياض^(١).

وله سبع عشرة نسخة خطية ذكرها محقق كتاب الاستغناء ص ٢٤-٢٥.

(١) العقد المنظوم (١/٤٦).

٢- أساليبه في الحوار:

اتبع القراني في حوارهِ أسلوبين:

أسلوب الدفاع، ثم أسلوب الهجوم.

أ) أسلوب الدفاع:

وقد تمثل هذا الأسلوب في خطوتين:

الخطوة الأولى: الرد على الشبهات المكتوبة من قبل

الطرف الآخر، وبيان الموقف الإسلامي منها.

والخطوة الثانية: الرد على أسئلة مثارة متداولة

ومتوقعة.

وفيما يلي بيان ذلك:

١ - الرد على الشبهات المكتوبة:

ذكر القرافي أن بعض النصارى قد أنشأ رسالة على لسان النصارى مشيراً أن غيره هو القائل، وأنه هو السائل، مشتملة على الاحتجاج بالقرآن الكريم على صحة مذهب النصرانية. فوجده قد التبس عليه المنقول، وأظلمت لديه قضايا العقول، إذ إن القرآن وكتبهم دالة على صحة مذهبنا وإبطال مذهبهم كما قال ^(١). فنهض لبيان ذلك.

ويبدو أن كتابة الشبهات وإذاعتها عادة لهم فقد ذكر الشيخ ابن تيمية (٦٦١ - ٧٢٨ هـ) كذلك أن كتاباً ورد من قبرص فيه الاحتجاج لدين النصارى، بما يحتج به علماء دينهم وفضلاء ملتهم قديماً وحديثاً، من الحجج السمعية والعقلية، قال: « فاقضى ذلك أن نذكر من الجواب ما

(١) الأجوبة الفاخرة، ص ٤٧.

يُحصل به فصل الخطاب، وبيان الخطأ من الصواب»^(١).

ثم بيّن أنّ ما ذكره في هذا الكتاب هو عمدتهم التي يعتمد عليها علماءهم في زمنه، وقبل زمنه، وإن كان بعضهم قد يزيد على بعض بحسب الأحوال، قال: «فإنّ هذه الرسالة»^(٢) وجدناهم يعتمدون عليها قبل ذلك، ويتناقلها علماءهم بينهم، والنسخ بها موجودة قديمة، وهي مضافة إلى «بولص» الراهب أسقف صيدا الأنطاكي»^(٣).

وبعد هذا ذكر أن مضمون ذلك ستة فصول، وقد سردها»^(٤).

(١) الجواب الصحيح (٩٨/١).

(٢) سماها قبل كتاباً في موضعين.

(٣) الجواب الصحيح (٩٩/١ - ١٠٠).

(٤) المصدر السابق (١٠١/١ - ١٠٤).

وهذه الفصول تشترك مع الشبهات التي وقف عليها القرافي في أمور، وتختلف في أمور، مما يدل على أنها غيرها، لكن المصّب واحد.

ويلحظ أن القرافي لم يذكر اسم مؤلف الرسالة ولا تاريخها، ولم يتوقف المحقق عندها أيضاً، لكن من المرجح أن كتابه أسبق من كتاب ابن تيمية، إذ توفي القرافي ولابن تيمية (٢٣) سنة، ومهما يكن فإن هذا يدل على أن إثارة الشبهات كان منهجاً قائماً متكرراً، وأن علماء الإسلام كانوا يقبلون التحدي فيجيبون على هذه الشبهات ويدافعون عن الإسلام عقيدةً وشريعةً، ويزيدون على هذا بالمبادرة والهجوم على الطرف الآخر كما فعل القرافي، مما شكل حركة علمية واسعة.

وقد شارك في هذه الحركة في القرن السابع: الإمام المحدث أحمد بن عمر القرطبي (ت: ٦٥٦هـ) فله:

الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام^(١).

(١) لم يجزم محققه الدكتور أحمد حجازي السقا برأي في مؤلفه الحقيقي، وكذلك الدكتور أحمد بن عبد الله جود في كتابه «علم الملل ومناهج العلماء فيه» ص ١٨٤، وقد ذكر أسماء من نسبته إلى القرطبي المفسر ومن نفاه عنه، وختم تعليقه بقوله: إن الأمر يحتاج إلى مزيد من التحقيق والدراسة. وذكره الشيخ مشهور حسن سلمان للقرطبي المفسر في كتابه عنه «الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير» ص ١٤٢-١٤٣، وأثبت الدكتور محمد بن إبراهيم أبا الخيل في مقال له على شبكة المعلومات الدولية تحت عنوان: «هل القرطبي المفسر هو مؤلف كتاب «الإعلام»، أثبت أنه للقرطبي المحدث (ت: ٦٥٦هـ). وكذلك فعل الباحث سمير القدوري في مقاله «من هو القرطبي الذي رد على كتاب تثليث الوحداية لنصارى طليطلة»، وفي بحثه «رحلات أحمد بن عمر الأنصاري القرطبي (ت: ٦٥٦هـ) في المغرب والمشرق ومؤلفاته العلمية» المنشور في مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، المجلد الثاني، العدد (١١) (٢٠٠٥-٢٠٠٦م)، والمقال والبحث منشوران على شبكة المعلومات الدولية أيضاً.

والشيخ عبدالعزيز بن أحمد الديريني (ت: ٦٩٤هـ)
فله: «إرشاد الحيارى في الرد على النصارى». ومن
الواضح أنه أفاد من كتاب القرافي.

ومن بعدهم الشيخ سليمان بن عبد القوي الطوفي
(ت: ٧١٦هـ) فله كتب في هذا المجال منها: «الانتصارات
الإسلامية في كشف شبه النصرانية» وثلاثتها مطبوعة.

أما الشبهات التي جاءت في الرسالة التي ذكرها
القرافي فهي خمس عشرة شبهة وهي هذه:

الشبهة الأولى: أن محمداً لم يُبعث إليهم، فلا يجب
عليهم اتباعه، وإنما أُرسل إلى العرب خاصة، وأنه لا
يلزمهم إلا مَنْ جاءهم بلسانهم، وأتاهم بالتوراة والإنجيل
بلغاتهم^(١).

(١) الأجوبة الفاخرة ص ٦٨ .

الشبهة الثانية: أن القرآن ورد بتعظيم عيسى، وبتعظيم أمه مريم، وأن هذا هو رأيهم واعتقادهم فالدينان واحد فلماذا ينكر المسلمون عليهم^(١).

الشبهة الثالثة: أن القرآن وَرَدَ بِأَن عيسى روح الله تعالى وكلمته. وأن هذا هو اعتقادهم^(٢).

الشبهة الرابعة: أنه ورد في القرآن: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ [آل عمران: ٥٥]^(٣).

الشبهة الخامسة: أن القرآن شهد بتقديم بيع النصارى وكنائسهم على مساجد المسلمين بقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج: ٤٠]^(٤).

(١) الأجوبة الفاخرة ص ٧٧.

(٢) المصدر السابق ص ٨١.

(٣) المصدر السابق ص ٩١.

(٤) المصدر السابق ص ٩٤-٩٥.

الشبهة السادسة: أن القرآن دلَّ على تعظيم الحواريين والإنجيل، وأنه غير مبدل بقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [المائدة: ٤٨] - أي من التوراة والإنجيل - وإذا صدقهما لا تكون مبدلة، ولا يطرأ التغير عليها بعد ذلك، لشهرتها في الأعصار والأمصا، فيتعذر تغييرها^(١).

الشبهة السابعة: أن القرآن أثنى على أهل الكتاب بقوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَّيِّهَا الْكَافِرُونَ ۖ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۚ ۝٢ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۚ ۝٣ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ۚ ۝٤ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۚ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۖ﴾. وبقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦]. والظالمون هم اليهود عبدة العجل وقتلة الأنبياء.

(١) الأجوبة الفاخرة ص ٩٨ - ٩٩ .

وبقوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيْكَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَيْسِيْنَ وَرُهْبَانَا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة: ٨٢] فذكر حميد صفاتهم وجميل سجاياهم ونفى عنهم الشرك بقوله: ﴿وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾.

وسوى بينهم وبين غيرهم بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢] ^(١).

الشبهة الثامنة: أن القرآن مدح القربان [يقصدون المائدة!] وتوعدهم إن أهملوا ما متعوا به كما في سورة المائدة الآيات (١١٢ - ١١٥) ^(٢).

(١) الأجوبة الفاخرة ص ١٢٣ - ١٢٤.

(٢) المصدر السابق ص ١٢٧.

الشبهة التاسعة: أن الله أخبر خبراً جازماً أنهم يؤمنون
بعيسى بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ
مَوْتِهِ﴾ [النساء: ١٥٩] فكيف يتبعون من أخبر الله أنه شاك
في أمره بقوله: ﴿وَإِنَّا أَوْلِيَاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ
مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤] ^(١).

الشبهة العاشرة: أنه ليس من عدل الله أن يطالبهم
باتباع رسول لم يرسله إليهم، ولا وقفهم على كتابه
بلسانهم ^(٢).

الشبهة الحادية عشرة: أنه لو علم المسلمون مرادهم
بالأب والابن والروح القدس لما أنكروا عليهم فإن
مرادهم بالأب الذات، وبالابن النطق الذي هو قائم
بتلك الذات، وبروح القدس الحياة. الثلاثة إله واحد.

(١) الأجوبة الفاخرة ص ١٢٩ - ١٣٠ .

(٢) المصدر السابق ص ١٣٥ .

وهذه الثلاثة يعتقدها المسلمون!... وقد أطال في شرح هذه الشبهة^(١).

الشبهة الثانية عشرة: أن احتجاجهم ببعض القرآن لا يلزمهم بقيته، لأنه كمكتوب أخرجه صاحب الدين بمئة دينار. وفيه مكتوب أنه قد وفا، فإن ذلك لا ينفع المديون^(٢).

الشبهة الثالثة عشرة: أن إطلاقهم لفظ ابن والروح والأقانيم كإطلاق المتشابه عند المسلمين من لفظ اليد والعين ونحوها^(٣).

الشبهة الرابعة عشرة: إطلاقهم « الجواهر » على الله ودعواهم أن هذا الإطلاق ليس بمنكر^(٤).

(١) الأجوبة الفاخرة ص ١٣٦ - ١٣٨ .

(٢) المصدر السابق ص ١٥٠ .

(٣) المصدر السابق ص ١٥٠ .

(٤) المصدر السابق ص ١٥٢ .

الشبهة الخامسة عشرة: دعواهم أن الله تعالى له عدل وفضل، وقد تحقق العدل بشريعة موسى، وتحقق الفضل بكلمته عيسى، فحصل غاية الكمال ولم يبق بعد الكمال إلا النقص^(١). ويقصدون بذلك الاستغناء عن شريعة النبي ﷺ.

هذه هي الشبهات التي وردت في الرسالة، وقد أوردتها القرافي كما هي حرفاً حرفاً، ورد عليها واحدة واحدة، وكان في بعضها يقول إن الرد من وجوه كما في الشبهة الأولى والثانية والثالثة - وكان الرد هنا من ثلاثة وجوه -، والخامسة - وكان الرد هنا من أربعة وجوه -، وفي البقية كان يسرد الرد سرداً، ولا يدع ممّا استدل به الطرف الآخر شيئاً، مع أنه قال في المقدمة أنه سلك مسلك الاقتصاد لأنه يراهم قوماً عاجزين عن

(١) الأجوبة الفاخرة ص ١٥٤ - ١٥٥ .

تصوير دينهم فضلاً عن إقامة الدليل عليه فكيف يليق
بالعقل أن يؤهلهم للحديث معهم؟^(١)

وكان من أطول الردود رده على الشبهة السادسة
التي جاء فيها أن الإنجيل غير مبدل فقد تحدث هنا عن
الأنجيل، وبَيَّن أنها خمسة، يعرف النصارى منها أربعة
مشهورة، والخامس لا يعرفه إلا القليل منهم، وقد عددها
ووصفها، ثم سَرَدَ (١٥) تناقضاً وقع فيها قال: « لتعلم
تغيرها وتبديلها وعدم الوثوق بشيء منها. فإنه ليس
البعض بأولى من البعض »^(٢).

أما في رده على الشبهة الخامسة عشرة فقد ختمه ببيان
محاسن الشريعة المحمدية، وذكر منها وجوهاً بلغت عشرة
وجوه^(٣). وختمها بقوله: « ولنقتصر على هذه النبذة في

(١) الأجوبة الفاخرة ص ٦٨ .

(٢) المصدر السابق ص ١١٠ - ١٢٣ .

(٣) المصدر السابق ص ١٦٤ - ١٦٦ .

هذا المختصر اللطيف، وإلا فمحاسن الشريعة لا يحصى عددها، ولا يخبو زندها»^(١).

٢- الرد على أسئلة مثارة متداولة ومتوقعة:

وهذه هي الخطوة الثانية التي سلكها القرافي في حوارهِ مع الآخر وهي إحصاءه خمسة عشر سؤالاً كانوا ولعين بإيرادها^(٢) وقد «عبثوا بها» - كما قال - وهذا يعني أنها متداولة، وهي متوقعة كذلك، لذلك ذكرها وأجاب عليها «تكميلاً للفائدة»^(٣)، وهذه الأسئلة هي:

السؤال الأول: عن توافر شروط التواتر في الإخبار

عن صلب المسيح^(٤).

(١) الأجوبة الفاخرة ص ١٧٦ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٨ .

(٣) المصدر السابق ص ١٧٩ .

(٤) المصدر السابق ص ١٧٩ - ١٨٠ .

السؤال الثاني: قولهم إن القول بإلقاء الشبه على غير عيسى يفضي إلى السفسطة والدخول في الجهالات وما لا يليق بالعقلاء^(١).

السؤال الثالث - يشترك فيه اليهود والنصارى - وهو أن كون الشريعة المحمدية نسخت كثيراً من أحكام التوراة محال لأن القول بالنسخ يقتضي تجويز البدء أو الندم على الله، وهو محال فالنسخ محال^(٢).

السؤال الرابع: أن القرآن يشتمل على ما ليس بصحيح فلا يكون من عند الله كقوله: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ [التحريم: ١٢] ومريم ليست ابنة عمران...^(٣).

(١) الأجوبة الفاخرة ص ١٩٠ .

(٢) المصدر السابق ص ١٩٩ - ٢٠١ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .

السؤال الخامس: - وهو متمم للرابع - من أنَّ جَعَلَ
مريم أختاً لهارون مما يستدرك على المسلمين لأنَّ بينهما
ست مئة سنة^(١).

السؤال السادس: دعوى ألوهية المسيح لأنه أحيا
الموتى^(٢).

السؤال السابع: دعوى اليهود بطلان نبوة
عيسى^(٣).

السؤال الثامن: دعوى أن النعيم الجسماني في الجنة
الذي يثبته المسلمون غير ممكن لأنه من النقائص^(٤).

السؤال التاسع: دعوى سلامة التوراة من التبديل

(١) الأجوبة الفاخرة ص ٢٠٩ .

(٢) المصدر السابق ص ٢١٠ - ٢١١ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٢٣ - ٢٢٤ .

(٤) المصدر السابق ٢٢٧ - ٢٢٨ .

والتغيير بحجة انتشارها في الأرض وهي على نظام واحد^(١).

السؤال العاشر: دعوى اليهود والنصارى أن الإسلام ظهر بالسيف^(٢).

السؤال الحادي عشر: دعوى النصارى أن القرآن ناطق بجواز الاتحاد فلا ينكر عليهم هذا^(٣).

السؤال الثاني عشر: دعوى النصارى أن القرآن دلَّ على الاتحاد في حق عيسى دون غيره^(٤).

السؤال الثالث عشر: قولهم إن المسلمين ليسوا على ثقةٍ مما بأيديهم من القرآن لوجود الخلاف في جمعه، ومن

(١) الأجوبة الفاخرة ص ٢٣٨ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٦٣ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٦٧ - ٢٦٨ .

(٤) المصدر السابق ص ٢٧٢ - ٢٧٣ .

ذلك الخلاف بين ابن مسعود وعثمان^(١).

السؤال الرابع عشر: قولهم: إن المسلمين على ضلال في دينهم لأن نبيهم قال لهم عند موته: هلموا اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، فمنعهم عمر من ذلك وقال: حسبنا كتاب ربنا. وإذ لم يكتب لهم فقد ضلوا جزماً^(٢).

السؤال الخامس عشر: قولهم: إن المسلمين يعيرون النصارى بأن أناجيلهم أربعة، مع أن قرآنهم عن سبعة قراء مختلفين اختلافاً شديداً. بل عشرة بل أكثر من ذلك، فاختلافهم أعظم من اختلافنا^(٣).

وقد أجاب القرافي على هذه الأسئلة إجابات شافية من وجوه، فقد أجاب على الأول بثلاثة وجوه، وعلى الثاني

(١) الأجوبة الفاخرة ص ٢٧٣ - ٢٧٥ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٧٧ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٧٩ - ٢٨٠ .

بسته، وعلى الثالث عشرة، وعلى الرابع والخامس بوجهين،
وعلى السادس بثمانية، وعلى السابع بثلاثة، وعلى الثامن
بأحد عشر وجهاً، وعلى التاسع بثمانية عشر وجهاً، وعلى
العاشر بثلاثة. وسرد الجواب على الباقي بلا وجوه.

ومما يجب أن يُنوه به هنا أمانة القرافي وإنصافه في
إيراد هذه الأسئلة على المسلمين مع ما احتوت عليه من
شبهات ومغالطات، مع أن الطرف الآخر قد اتبع أسلوب
التحريف في ذكر الشبهات المكتوبة، ولا عجب في ذلك
فإن القرافي يقف على أرض صلبة فهو غير خائف من أي
شبهة تذكر، أو مغالطة تسطر، وهكذا مَنْ يعتقد أنه على
الحق. وهذه الأمانة والإنصاف في حكاية أقوال الخصوم
درسٌ عظيم على مَنْ يحترم نفسه أن يلتزم به في حياته
وحواره وكتاباتة، وهذا يضيفي قوة على قوته، ويضيف
انتصاراً إلى انتصاراته.

ب) أسلوب الهجوم:

هذا هو المنهج الثاني الذي اتبعه القرافي، فبعد أن دفع الشبهات وأجاب على الأسئلة، ودافع عن الدين وكتابه ونييه، سلك طريقاً آخر هو الهجوم، وقد تمثل هذا المنهج في خطوتين:

الخطوة الأولى: إيراد أسئلة كثيرة على الطرف الآخر، وقد بلغت هذه الأسئلة (١٠٧) سؤال، بينما لم تتجاوز شبهات الآخرين وأسئلتهم (٣٠) شبهة وسؤالاً.

والخطوة الثانية: إيراد البشائر بالنبي محمد ﷺ من كتب اليهود والنصارى، وفي ذلك تدعيم للخطوة الأولى وتكميل لها.

١ - إيراد أسئلة على الطرف الآخر:

وهذه كما قال: «معارضة لأسئلتهم، ودامغة لكلمتهم وملتهم»^(١).

ولما كان المجال لا يسمح باستعراض هذه الأسئلة كلها فقد قمت بقراءتها ومحاولة تصنيفها تحت عناوين جامعة، لأخذ تصور عام عن هذه الموضوعات التي عرض القرآني الحوار والمناقشة فيها على الطرف الآخر، والموضوعات هي:

- رد ربوبية المسيح وبيان أنه بشر نبى: (السؤال: ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١١، ١٤).

- رد عقيدة الصلب، وما يتعلق بها: (السؤال ١٠، ١٢، ١٣، ١٥، ١٦، ١٧، ٦٢).

(١) الأجوبة الفاخرة ص ٢٨٧ .

- عن الاتحاد، وحقيقة اللاهوت والناسوت، والقول
بالثالوث: (السؤال ١٨، ١٩).

- عن «الأمانة» وكونها لا أصل لها في شرع الإنجيل، ولا
من قول تلاميذه، وما يلزمهم من الإيمان بها والعمل
بمقتضاها: (السؤال ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥،
٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥،
٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١).

- عن الأفانيم: (السؤال ٤٢).

- رد كون عيسى ابن الله وأسئلة عن مستنداتهم في ذلك،
وما حصل لهم من تناقض فيه: (السؤال ٤٣، ٧٥،
٧٦).

- عن أكل خبز المسيح وشرب خمر المسيح: (السؤال
٤٤).

- عن تركهم الختان: (السؤال ٤٥) وهو من أطول الأسئلة

- لاستطراده إلى الكلام على بولس وتغييره الدين، وقد
تطرق إلى فوائد الختان، وعد منها خمس فوائد.
- عن نزول مريم على دار المطران بطليطلة: (السؤال
٤٦).
- عن صلاتهم للمشرق، وتركهم الاستنجاء، وصلاتهم
بغير طهارة، وتضرعهم إلى رجل من بني آدم: (السؤال
٤٧، ٤٨).
- عن الاعتراف ومساوئه: (السؤال ٤٩).
- عن زيادتهم جمعة في صومهم، وتركهم أكل اللحم
فيه، وصيامهم (٦٠) يوماً، وجهلهم الواجب منها:
(السؤال ٥٠).
- عن أعيادهم: عيد ميكائيل، وعيد الصليب، وعيد
النور وغيرها... والتزامهم ما ليس بلازم: (السؤال
٥١، ٥٢، ١٠٤).

- عن السجود للتصاوير في الكنائس: (السؤال ١٥٣).
- عن تجويزهم على الباري النزول والطلوع والحركة والسكون: (السؤال ٥٤).
- عن أكلهم الخنزير ومخالفتهم التوراة والإنجيل: (السؤال ٥٥).
- عن التزام النصارى أن الراهب والراهبة لا يتزوجون: (السؤال ٥٦).
- عن تركهم الاستسلام، ومباشرتهم القتال والانتصار ومدافعة الكفار والأخذ بالشار - وهو مخالف لشرائعهم - وعن حكمهم بغير ما أنزل الله واتباع الأهوية في الأحكام: (السؤال ٥٧، ٥٨).
- عن غضب يوحنا على ربه، ومنازعته في تصرفه: (السؤال ٥٩).
- عن نفيهم كلام المسيح في المهد: (السؤال ٦٠).

- عن تسييحاتهم في مناسباتهم: (السؤال ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦).

- عن قراءاتهم في صلواتهم، وما يلزمهم فيها: (السؤال ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤).

أسئلة لليهود:

- عن المعجزة: حقيقتها، وثبوتها في حق محمد ﷺ، وما يلزمهم من ذلك: (السؤال ٧٧، ٧٨).

- عن إسلام خيار اليهود وإخبارهم بأن مقتضى التوراة صحة نبوة محمد ﷺ: (السؤال ٧٩).

- عن وقوع النسخ عندهم: (السؤال ٨٠).

- عن اختلاط التوراة بغيرها من التواريخ، وبكلام كثير ليس لموسى... وتبديلها، واعتراف عقلاء اليهود بنبوة محمد - وإن خصصوها بالعرب - ... ومناقشة بعض

ما ورد في التوراة وتناقضها: (السؤال ٨١، ٨٢، ٨٣،
٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣،
٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١).

عودة إلى أسئلة النصارى:

- عن مخالفتهم أحكام التوراة وتأويلهم المحرمات: (السؤال ١٠١).
 - عن المعمودية ومستندها: (السؤال ١٠٢).
 - عن وضع النصارى لأنفسهم قوانين من غير دليل من التوراة والإنجيل: (السؤال ١٠٣).
 - عن القربان وتبديله: (السؤال ١٠٥).
 - عن تقديس النصارى دورهم بالملح: (السؤال ١٠٦).
 - عن التصليب ومستنده: (السؤال ١٠٧).
- وقد دلَّ القرآني بهذه الأسئلة التي توجه بها إلى اليهود

والنصارى على اطلاع واسع على معتقداتهم وأصولها،
وكتبهم ووثائقهم، ومدونات علمائهم، وحياتهم اليومية
وما فيها من عبادة وسلوك.

وكان في كثير من الأسئلة يعرض سؤالاً ثم يفرع
عليه فيقول: إن قالوا: نعم قلنا كذا، وإن قالوا: لا، قلنا
كذا، مما يفتح آفاقاً واسعة من الحوار والمناظرة والجدل
وتداول الأفكار والمفاهيم..

ولا شك أن علمه وتفننه وذكاءه، والمناظرات التي
وقعت له مع علماء منهم، كل هذا أسهم في وصوله
إلى هذه الأسئلة وصياغتها هذه الصياغة، وشمولها
لكل الموضوعات التي تقوم عليها حياة الطرف الآخر
وثقافته.

ويقودنا هذا إلى القول بضرورة تسليح المحاور في هذا
العصر بهذه الأسلحة قبل دخوله في هذا الميدان الفكري

الذي هو الأساس في العلاقات السلمية أو المنازعات الحربية.

٢- إيراد البشائر بالنبي محمد ﷺ من كتبهم:

ولم يكتف القرافي بطرح الأسئلة على الطرف الآخر، بل ذهب إلى كتبهم واستخرج منها ما يراه بشارات تتحدث عن النبي العربي الخاتم، وقد فعل هذا «معارضة لاستدلالهم بكتابنا على صحة دينهم، بعد بيان بطلان توهمهم صحة ما اعتمدوا عليه»^(١).

وقد قدم لهذا بقوله: «قد نص الأنبياء عليهم السلام من إبراهيم عليه السلام إلى المسيح عليه السلام على نبوة محمد ﷺ ورسالته، وأنه أفضل النبيين والمرسلين، ونصوا على اسمه ونعته وحليته، وأرضه وبلده، وجميل سيرته،

(١) الأجوبة الفاخرة ص ٤١٧.

وصلاح أمته، وسعادة ملته، وأنه من ولد إسماعيل عليه السلام، وأن دعوته تدوم إلى قيام الساعة»^(١).

وليس من غرضي هنا استعراض هذه البشارات، وفي كلام القرافي هذا نبذة عن مجموعها، إلا أنني أقوم بتصنيفها من حيث مصادرها:

- فقد استنبط من التوراة البشارات الآتية: (١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧).

- ومن الإنجيل - وقد صرح باسم يوحنا ومتى - البشارات: (٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨).

- ومن المزامير البشارات: (١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤).

- ومن نبوة أشعيا: (٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠).

(١) الأجوبة الفاخرة ص ٤١٧.

- ومن يوشاع: (٤٠).
- ومن سفر ميخا: (٤١).
- ومن حبقوق: (٤٢).
- ومن حزقيال: (٤٣، ٤٤).
- ومن دانيال: (٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨).
- ومن رسالة يوحنا: (٤٩).
- ومن آرميا: (٥٠).
- والمجموع إحدى وخمسون بشارة.

ولابد هنا من ذكر هذه الملاحظات:

- عزا القراني بشارات إلى الإنجيل والمزامير ونبوأ أشعيا، وبالرجوع إلى الطبعة المتداولة الآن لم يعثر المحقق عليها كما في البشارات (١٦، ٢٠، ٢٧، ٣٨، ٤٠، ٥١).

- وبعض البشارات عزأها القرافي إلى المزامير وهي في أشعيا كما في (٢٢).

- وفي بشارات أخرى وَرَدَ التصريح باسم النبي ﷺ، كما في (٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٦، ٣٧، ٤٢، ٤٥)، وهذا لا وجود له في الطبعة المتداولة الآن، ولكن القرافي واثق مما ينقل حتى إنه يقول: «ولا يكاد أشعيا عليه السلام يهمل ذكر اسمه، كأنه عليه ضربة لازب، وحتم واجب، وإذا كانت الأنبياء والأصفياء يصرحون باسمه وجميع صفاته انقطعت أعذار أهل الكتاب»^(١). ومن ذلك أيضاً اختلاف الألفاظ بين المنقول والموجود الآن^(٢) والقرافي رجل ضابط حاذق، ولا يمكن أن يدَّعي ما ليس له وجود في كتب من يناظرهم ويجادهم

(١) الأجوبة الفاخرة ص ٤٤٨.

(٢) ينظر على سبيل المثال ص ٤٥١، ٤٦١.

ويدعوهم، لما في ذلك من إضعاف موقفه، وسقوط
حجته، ورد دعوته. وهذه المنقولات من كتب الطرف
الآخر تفتح مجالات واسعة للدرس في تأريخ كتبهم
وترجمتها وتطورها واختلاف نسخها...

٣- أهدافه:

كان للقراقي في خوضه هذا الميدان أهداف يمكن
حصرها في هدفين:

الهدف الأول: تقوية المسلمين وتثبيتهم:

بعد أن أورد القراقي على القوم (١٠٧) سؤال وكان
قد اضطر إلى نقل ما لديهم قال: « ولنقتصر على هذه
الأسئلة، فهذا مهيع واسع، وضلال شاسع، كلماتهم
الركيكة أكثر من الحصى، وهفواتهم أكثر من أن تحصى،
وأنا أستغفر الله العظيم من نقل كفرهم وسوء أدبهم »
وبين هدفه فقال: « وما الباعث على هذا إلا:

١ - ليعلم الناظر في هذا الكتاب من المسلمين ما
أنعم الله عليه من نعمة الإسلام، وأنه هو الدين المبين

الحق^(١)، الجاري على نسق التوحيد والصدق، كما قال
الشاعر (المتنبى):

وبضدها تتميز الأشياء

وقال غيره:

والضد يظهر حسنه الضد

٢- وليفهم معنى قوله عليه السلام: « جئتكم بها
بيضاء نقية » أي: لا يشوبها ما يُتوهم أنه نقص، وما لا
يناقضها، جامعة لمكارم الأخلاق، ناهية عن لئامها،
قد استبدلت عن هذه الركاقات في العبارة بالفصاحة
الفائقة، وعن هذه القبائح بالمنايح الرائقة، فهذا بياضها
الناصع ونقاؤها الجامع.

٣- وامثالاً لقوله تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ

(١) في الأصل: للحق. ولكني أرجح هذه القراءة.

يَنْصُرُهُمْ ﴿[الحج: ٤٠]، وقوله: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ
وَأَنْتُمْ أَلَعَلَّوْنَ﴾ [محمد: ٣٥]».

ثم كشف القرافي عن خشيته من افتتان بعض
المسلمين إذا لم يتم الرد فقال: «وَمَنْ لَا يَقِفُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ
عَلَى سَخَافَةِ هَذِهِ الْأَدْيَانِ يَعْتَقِدُ أَنَّ شَبَهَتَهُمْ رَبِّهَا تَكُونُ
قَوِيَّةً، فَإِذَا وَقَفَ عَلَى هَذِهِ الْقَبَائِحِ عَلِمَ أَنَّهِمْ فِي أَعْظَمِ ظُلْمٍ
الضَّلَالَاتِ يَهيمون، وأنهم في دركات النار مرتهنون، فزاد
لذلك في قلبه الإيمان، وعَظَّمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ الْاِمْتِنَانِ» (١).
ولهذا كان يتوجه أحياناً بالخطاب إليهم فيقول:
«وَأَنْتُمْ مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ تَعْلَمُونَ...» (٢).

(١) الأجوبة الفاخرة ص ٤١٢-٤١٣.

(٢) المصدر السابق ص ٢٥٢ ومثله ص ٣٨٢.

الهدف الثاني: دعوة الآخر إلى الإسلام:

وهذا الهدف يتجلى من كلام القراني في الكتاب كله، وعلى الخصوص حين ناقش قضية المعجزة فقد قال موجهاً كلامه إلى اليهود: « حقيقة المعجزة لا تختلف، وهي فعل خارق يقترن به التحدي. وهذا قد وجد في حق محمد بن عبدالله ﷺ، كما وُجد في حق موسى عليه السلام، فإن كانت المعجزة لا تفيد النبوة يلزمهم أن لا يعتقدوا نبوة موسى عليه السلام، وإن أفادت يلزمهم اعتقاد نبوة محمد ﷺ ».

ثم قال: « وإنما قلنا إنه عليه السلام جاء بالمعجزة لأنه جاء بالقرآن في زمن الفصحاء البلغاء، وسأل جميعهم أن يأتوا بمثله فأعجزهم، فسألهم سورة منه بحيث تصدق على سورة الكوثر فعجزوا، فنادى بينهم على رؤوس الأشهاد بقوله: ﴿لَئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ

عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ
لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴿ [الإسراء: ٨٨] ﴾ ^(١).

ثم قال: « وفيه من المعجزات وجوه كثيرة منها »
وعَدَّ إخباره عن المغيبات المستقبلات، وإخباره عن أحوال
القرون الماضية، وأنه لا يمل مع تطاول الأزمان ^(٢). ثم
ذكر مزايا هذه المعجزة ^(٣).

وكان في موضع آخر قد تحدث عن محاسن الشريعة،
وذكر منها عشرة محاسن، بدأها بقوله: « أحدها: أن
معجزات جميع الشرائع ذهبت بذهاب أنبيائها، فوقع
الخطب في تلك الشرائع بعد طول المدة وموت الفرقة الذين
شاهدوا المعجزات. وجاء قوم لم يشاهدوا نبياً ولا معجزة

(١) الأجوبة الفاخرة ص ٣٦٣ - ٣٦٤.

(٢) المصدر السابق ص ٣٦٤ - ٣٦٥.

(٣) المصدر السابق ص ٣٦٩.

فطغوا وبغوا وضلوا وأضلوا، ودثرت تلك الشرائع بهذا السبب، فلم تتم المصلحة بسبب هذا العارض.

ومعجزة شرعنا هي القرآن الكريم بوصفه ونظمه وما اشتمل عليه من المغيبات وحلاوة السماع حلاوة لا تخلقها الآباد، ولا يسأمها أحد بالترداد. ووجدنا فيه من المعجزات نحو عشرة آلاف معجزة مسطورة في كتب هذا الشأن»^(١).

ثم عدد باقي المحاسن وشرحها شرحاً رائعاً، ولا يمكن نقل كلامه - على أهميته وجماله - لكنني أذكر ملخصه:

٢- أن كل نبي بعث إلى قومه خاصة، ومحمد ﷺ بعث للثقلين.

(١) الأجوبة الفاخرة ص ١٦٤ - ١٦٦.

٣- أن هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس، فتكون شرائعها أفضل الشرائع لقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ولأنها صَنَّفَتْ من العلوم ما لم يُصنّف في ملة من الملل... ولأن العلوم القديمة كلها إنما تحررت فيها... وقد بين القرافي هنا بربط ذكي رائع أن هذا إنما حصل لها ببركة شريعته واتباع نبيها عليه السلام.

٤- أن الله تعالى جعل عبادة هذه الأمة في هذه الشريعة على نسق الملائكة...

٥- أن سائر الأمم أمرت بتطهير الباطن عن الرذائل والأخلاق الشيطانية فقط، وهذه الأمة أمروا بذلك، وزيد لها وحدها الأمر بتطهير الظاهر.

٦- أن هذه الشريعة أمرت باستقبال أفضل الجهات.

٧- أن هذه الشريعة راعت مصالح الرجل والمرأة
باعتدال.

٨- أن جميع الشرائع إنما يؤذن لهم في الصلاة في
البيع، وشريعتنا وردت بالصلاة في كل موضع طاهر في
جميع أقطار الأرض.

٩- أن جميع الشرائع لم تحل فيها الغنائم لأحد،
وأحلت في هذه الشريعة.

وهنا قال كلمة مهمة واعية وهي: «ومعلوم بالضرورة
أن صون المال عن الضياع، والاستعانة على الدين والدنيا
به أوقع في نظر الحكمة، وأتم في مراعاة المصلحة».

١٠- إنا لا نعلم في شريعة من الشرائع إعلاماً
بالأوقات المعينات للصلوات بشيء يشتمل على
مصلحة غير الإعلام... وشرع في هذه الشريعة الأذان،

فحصل الإعلام، ومصلحةٌ أفضل وهي الثناء على الملك
العلام...^(١).

ولا يخفى أن عرض هذه المحاسن وشرحها والتذكير
منها يؤدي أكثر من غرض، ويخدم الهدفين اللذين تغياهما
القراقي، وهو - رحمه الله - ما فتى يتناول محاسن الشريعة
في ثنايا كلامه، ويبين غنى التشريع الإسلامي، وفقر ما
لدى الآخرين، استمع إليه وهو يقول:

« إنه ليس يشتمل « ديوان فقه » النصارى على أكثر
من خمس مئة مسألة ونيف، لم ينقلوها عن المسيح، فهي
أيضاً في نفسها باطلة، ولو أنها صحيحة، فالصلوات
وحدها تحتاج آلافاً من المسائل، فأين أحكام الله تعالى
في بقية العبادات، والأنكحة، والمعاملات، والأقضية،
والجنايات، والودائع، والرهون، والديون، والإتلاف،
إلى غير ذلك من أحكام الله تعالى في التصرفات؟

(١) الأجوبة الفاخرة ص ١٦٦-١٧٦.

وأقل مختصر عند المسلمين يحتوي على عشرة آلاف مسألة، ومع ذلك فهو قطرة في بحر، فكيف خمس مئة مسألة! ^(١).

ثم ذكر حقيقة مهمة فقال: « وأكثر رجوعهم إلى أحكام المسلمين مع أنها عندهم باطلة! » ^(٢).

ولهذا دلالات واسعة منها التعايش السلمي بين المسلمين ومجاوريهم ومساكينهم من أهل الملل الأخرى، وهذا الموضوع جدير بالبحث الجاد ليكشف عن وقائعه وأبعاده وقيمه.

ومما يدل على إرادته دعوتهم إلى الإسلام تصريحه أنه رجا من رده وأسئلته أن يجعل الله « ذلك تنبيهاً لبعض الغافلين فيستيقظ لرؤية هذه المساوئ القبيحة » ^(٣).

(١) الأجوبة الفاخرة ص ٣٤٦.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق ص ٦٦.

وقوله: « فليبادر كل عاقل حينئذ للإسلام فيدخل
الجنة بسلام »^(١).

(١) الأجوبة الفاخرة ص ٨١.

٤ - لغته:

تراوحت لغة القرافي بين اللين والاحترام، والشدة والسخرية، إلا أنه في بعض الأحيان كان يشتد كثيراً في وصف الطرف الآخر، وربما حصل له هذا حين يصل إلى نقاط حاسمة فلا يملك نفسه من الانفعال.

وأستعرض هنا بعض عباراته:

- « إن النصارى أمة عمياء، وطائفة جهلاء »^(١).
- « .. فإن مخاطبة البهائم من السفه »^(٢).
- « .. لو أن اليهود بالغوا في الهزء والسخرية بالنصارى ما قدروا أن يقولوا أكثر من هذا الهذيان »^(٣).

(١) الأجوبة الفاخرة ص ٥٣ .

(٢) المصدر السابق ص ٦٦ ومثله تقريباً في ١٤٤ .

(٣) المصدر السابق ص ١١٨ .

- « فهم جديرون بأن يُضحك عليهم أبد الدهر، وإن شئت قلت: يُبكي عليهم »^(١).
- « ولقد عذرتُ بعضَ الفضلاء لما سمعته يوماً يقول: النصرارى عرة على ولد آدم »^(٢).
- « ينبغي لهذه الطائفة النصرانية أن تبكي وتنوح على فقد العقل قبل أن تبكي على فقد الدين »^(٣).
- « أي ضرورة تدعوكم إلى إثبات أنواع الإهانة والعذاب في حق رب الأرباب، على زعمكم أيها الدواب... »^(٤).
- « هم في الجهالة والضلالة وقلة العقل بل عدمه كالفأر الأعور، يرى الخبز ولا يرى القط ... »^(٥).

(١) الأجوبة الفاخرة ص ١٢٢ .

(٢) المصدر السابق ص ١٢٣ .

(٣) المصدر السابق ص ١٤٧ - ١٤٨ .

(٤) المصدر السابق ص ١٩٨ .

(٥) المصدر السابق ص ٢٩١ .

- «.. لكن المشايخ الذين لفقوا الأمانة كانوا من
التياسة والجهالة في أبعد غاية» ^(١).
- «.. فكيف يكون مثل هذا قديساً؟ بل حماراً وتيساً
حسيماً» ^(٢).
- «.. كيف اشتملت تلك المحافل على تيوس الأنعام
بل حشرات الهوام» ^(٣).
- « وهذه صلاة لو تقرب بها إلى كانس الكنيف،
لأشبعهم بالضرب العنيف، وأنف أن يكون هؤلاء من
خدمه، أو معدودين من حشمه» ^(٤).
- « وهذا حكم المجانين والضعفة المغفلين» ^(٥).
- « فليت الفجل يهضم نفسه» ^(٦).

(١) الأجوبة الفاخرة ص ٣١٢ .

(٢) المصدر السابق ص ٣١٧ .

(٣) المصدر السابق ص ٣٣٠ .

(٤) المصدر السابق ص ٣٣٢ .

(٥) المصدر السابق ص ٣٤٧ .

(٦) السابق ص ٣٩٩ وانظر أيضاً ص: ١٤١، ٣٤٠، ٣٥٥، ٣٥٨، ٣٧٨، ٣٨٠ .

٥ - مصادره:

كان اعتماد القرافي الأساس على القرآن الكريم،
وكتب القوم: التوراة والإنجيل وما ألحق بهما.

وهو ينقل عن المفسرين ولا يصرح بكتاب معين^(١).

ونقل عن المؤرخين وأرباب النقل^(٢). ولم يصرح إلا
بكتاب واحد هو « تاريخ المسبّحي »^(٣).

وذكر كتب النبط والرماية^(٤)، ولم يصرح بواحد
منها.

(١) انظر ص ٩٨.

(٢) انظر ص ٣٠٨، ٣٢٣، ٣٣٥.

(٣) انظر ص ٥٤، ٦٠، ٢٦٤. وقد تحرف في هذه المواضع كلها

إلى: المسيحي! وهو: محمد بن عبيد الله بن أحمد المسبّحي

الحراني (ت: ٤٢٠ هـ). انظر: الوافي بالوفيات (٩ / ٤).

(٤) انظر ص ٦٤.

وذكر كتب النصارى الفقهية^(١)، ولم يعين واحداً منها، لكنه عين كتب حفص القسيس ونقل منها^(٢).

نقل من « مصحف العالم » لتمشتين زعيم القسيسين بطليطلة (ت: ٤٣٠ م)^(٣).

وقال: « قال المفسرون لكتب دانيال ». ولم يعين أحداً^(٤).

وذكر من كتب اللغة: الصحاح للجوهري^(٥)، والغريب المصنف لأبي عبيد^(٦).

(١) انظر ص ٣٢٨، ٣٤٦، ٣٩٣، ٤٠١ .

(٢) انظر ص ٣٣٤، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٩، ٤١٠ .

(٣) انظر ص ٢٦٨ .

(٤) انظر ص ٤٥٨ .

(٥) انظر ص ٣٠٥ .

(٦) انظر ص ٣٩٢ وقد أخذ النص هنا من (الإعلام) للقرطبي.

وذكر كتاب البيهقي في أحوال القيامة^(١) ولم ينقل منه.

وأحال على كتبه الكلامية، وعيّن منها شرح الأربعين للإمام فخر الدين الرازي^(٢).

ولابد من القول أنه أفاد - فيما ظهر لي - مما كُتب قبله في هذا المجال، كـ:

١- الإعلام بمناقب الإسلام للعامري (ت: ٣٨١ هـ)، ولعله انطلق في كلامه على علوم الأمة الإسلامية من الفصل العاشر فيه، وهو في « القول في فضيلة الإسلام بإضافته إلى المعارف »^(٣).

٢- الفصل لابن حزم (ت: ٤٥٦ هـ).

(١) انظر ص ٢٣٥ . والمقصود كتابه « البعث والنشور ».

(٢) انظر ص ١٤٠، ١٤٦ .

(٣) انظر: الإعلام بمناقب الإسلام ص ١٧٩-١٨٣ .

٣- بذل المجهود في إفحام اليهود للحكيم السموأل ابن يحيى المغربي (ت: ٥٧٠ هـ)^(١)، وقد جاء عند القرافي نقل بالعبرية، فظننت أن القرافي يحسنها، ثم وجدت الكلام كذلك في « بذل المجهود » هذا.

٤- مقامع هامات الصلبان ومراتع روضات الإيمان للخزرجي الفاسي (ت: ٥٨٢ هـ)، وقد استفاد منه كثيراً^(٢).

٥- الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام للقرطبي المحدث (ت: ٦٥٦ هـ)^(٣).

(١) فما جاء في الأجوبة الفاخرة ص ٢٣٩-٢٤١ مأخوذ منه من ص ١٢٥-١٣٤.

(٢) طبع بعنوان: بين الإسلام والمسيحية. وما قاله القرافي عن شبهة انتشار الإسلام بالسيف ص ٢٦٣-٢٦٧ مأخوذ منه ص ٣٤٨-٣٥٢.

(٣) لا يتسع المجال لذكر الأدلة على ذلك .

ويستغرب من القرافي أنه أغفل ذكر هذه الكتب،
مع أننا نجده في بعض كتبه الأخرى يلتزم بعزو كل
قول لقائله، وكل سؤال لمورده، وكل جواب لمفيده كما
في « نفائس الأصول في شرح المحصول »^(١)، ولو عملت

(١) قال في مقدمته (١ / ٩١): « جمعت له نحو ثلاثين تصنيفاً في
أصول الفقه للمتقدمين والمتأخرين، من أهل السنة والمعتزلة،
وأرباب المذاهب الأربعة ». وبعد أن عددها قال (١ / ٩٦):
« والتزمت أن أعزو كل قولٍ لقائله، وكل سؤال لمورده،
وكل جوابٍ لمفيده، ليكون المطالع لهذا الشرح ينقل عن تلك
الكتب العديدة الجليلة الغريبة، فيكون ذلك أجمل من النقل
عن كتابٍ واحدٍ في التدريس والإفادة، وعند المناظرات،
وليكون إذا وقع خلل فيما نقلته وقد أعزيتَه إلى موضع
يستدرك من الموضع الذي أعزيتَه إليه، ويمكن استدراكه من
أصله، فيكون ذلك أيسر لتحقيق الصواب ورفع الخطأ ».
ويضاف إلى هذا الاعتراف بفضل السابق وعدم غمطه حقه،
وهذه كلها مقاصد جليلة ينبغي الالتزام بها.

مقابلة لـ « الأجوبة الفاخرة » بما كتبه العلماء من قبل تبين
لنا ما أخذه مما أتى به هو، ولا شك أنه أتى بالكثير إذ طرح
على القوم كثيراً من الأسئلة التي لم يوقف عليها عند ابن
حزم أو الغزالي أو القرطبي أو أبي عبيدة الخزرجي^(١)، كما
أن تقسيمه لكتابه، والمنهجية التي اتبعها، كانت ممتازة في
الإحكام والتنظيم.

(١) انظر مقدمة المحقق ص ١٠.

٦ - ملامح عامة في حوارهِ:

في دراستي لكتاب القرافي وضعت يدي على ملامح مهمة أرى من المفيد أن أعرضها هنا بشكل موجز وسريع:

- كان القرافي دائم الإشادة بالأمة الإسلامية وعلومها، وما تحقق على يد علمائها، واختصاصها بمعاقل العلوم وأزمته^(١)، وقد عزا - تبعاً للقرطبي - تميز مَنْ تميز من علماء النصارى إلى نشأته بين المسلمين وتعلمه من علومهم^(٢).

- كان القرافي شديد الثقة بنفسه وأحقية موقفه، فهو يجزم أن أسئلته لهم يتعذر عليهم الجواب عنها^(٣) ويحلف

(١) انظر: ص ٤٦-٤٧، ١٦٨-١٦٩، ١٨٠، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٨٣، ٣١٠.

(٢) انظر ص ٣٣٣.

(٣) انظر ص ٤٩.

- تبعاً للخزرجي - أن تاريخ الطبري أصبح نقلاً من الإنجيل، ويعتمد عليه العاقل أكثر...^(١).

- كان القرافي كثير الانتقاد لهم لغلبة التقليد عليهم^(٢) وعدم معرفتهم بلسان العرب في احتجاجهم فيقول: « فمن كان يعرف لسان العرب حق معرفته في إضافاته وتعريفاته وتخصيصاته وتعميماته وإطلاقاته وتقييداته وسائر أنواع استعمالاته فليتحدث به ويستدل به، ومن ليس كذلك فليقلد أهله العلماء به ويترك الخوض فيما لا يعنيه ولا يعرفه »^(٣). وانتقدهم لأنهم يفسرون بعض النصوص بما يخالف إجماع المسلمين على تفسيرها^(٤)،

(١) انظر ص ١٢١ .

(٢) انظر ص ٥٣ .

(٣) انظر ص ٨٩، ٩٠ .

(٤) انظر ص ١٠٠ .

ولتحريرهم القرآن وتغيير معناه لأغراضهم^(١)، وانتقدهم لعدم علمهم بعلم الكلام^(٢)، ولمخالفتهم أحكام الإنجيل بإقبالهم على القتال وسفك الدماء^(٣).

- كان القرافي واسع الاطلاع على أحوال القوم في بلادهم وبلاد المسلمين التي احتلوها كـ « عكا »^(٤) وواسع المعرفة بما لجأوا إليه من تخيلات موهمة وأباطيل مزخرفة^(٥)، وما يجري في بلادهم من مناظرات المسلمين لهم^(٦).

(١) انظر ص ١٣٠ - ١٣١، ١٣٩، ١٤٥ .

(٢) انظر ص ١٥٣، ٣٥٧ .

(٣) انظر ص ٣٤٥ .

(٤) انظر كلامه ص ٥٥، ٥٧، ٣٣١، ٣٤٦، ٤٠٠ .

(٥) انظر ص ٦١، ٦٥ .

(٦) انظر ص ٢٩٢ .

- كان يعيد بعض المعلومات للتبكي: كتفضيله
- كتب التاريخ الإسلامي على التوراة والإنجيل^(١)،
- ويعيدها للتأكيد: كفعلهم في الفصل في دعاوى القتل^(٢).
- وكان كثيراً ما يغمزهم ويلومهم على تخلفهم في
- مجال النظافة والطهارة، ويصفهم ويصف حالتهم بشكل
- مثير! ويباهي بطهارة المسلمين ونظافتهم^(٣).
- وكان يعزّز كلامه بذكر إسلام كثيرٍ منهم^(٤).
- ويذكر مناظراته معهم^(٥).
- كان في كثير من الأحيان يذكّرهم بعدم وجود

(١) انظر ص ١٢١، ١٨٦، ٢٤٤، ٢٥٥.

(٢) انظر ص ٥٧، ٣٤٦.

(٣) انظر ص: ٦١، ١٧٠، ٣٢٠، ٣٣٢، ٣٥٨.

(٤) انظر ص ٣٢٠.

(٥) انظر ص: ٦٦، ٣٠٧، ٣٠٨.

الإسناد لديهم، ويباهي بوجوده لدى المسلمين حتى في أمور لا تحتاجه^(١).

- وربما دهم على مخارج يتخلصون بها من إلزامات تلزمهم^(٢).

- كان يستطرد أحياناً استطرادات مهمة جداً كقوله:
« كثر التنبيه على أحوال الآخرة في شرعنا أكثر من التوراة والإنجيل حتى لم يكسر الله تعالى ذكر شيء في القرآن أكثر من ذكر البعث »، ثم إجابته على سبب هذا من وجوه أربعة^(٣).

- وكان يشير إلى توافق التوراة والإنجيل مع القرآن

(١) انظر ص: ١٥٢، ١٨٦، ٢٤٤، ٢٨٢، ٣٤١.

(٢) انظر ص: ٤٠٨.

(٣) انظر ص: ٢٣٤ - ٢٣٨.

في بعض المواضع^(١). وهذا التوافق يدل على بقايا سلمت من التحريف، وهو من الموضوعات الجديرة بالبحث والتتبع والاستقصاء.

- وغني عن القول ما ظهر من علمه الواسع وإطلاعه الغزير على كتبهم وموروثاتهم، ومحاججته لهم بما فيها بصورة استقرائية تامة^(٢) وكان في بعض الأحيان يشير إلى وقوفه على نسخ من التوراة مختلفة^(٣) مما يدل على تتبع جاد دقيق.

(١) انظر ص: ٢٩٧، ٣٠٢، ٣٥٠.

(٢) انظر ص: ١٠٣، ٢١٦، ٣٣١ - ٣٣٤، ٢٥٧، ٢٨٢، ٢٩٠،

٢٩٥، ٣٤٠، ٣٥٤، ٤٠٤.

(٣) انظر ص: ٢٥٥ - ٢٥٦.

٧- النتائج والتوصيات:

(أ) النتائج:

- كان القرافي من أئمة المسلمين المتميزين في القرن السابع الهجري، ولمؤلفاته قيمة كبرى.

- كان علماء المسلمين يبادرون إلى الرد على أي شبهة تثار ضد الإسلام، مما يدل على حضورهم الراسخ في المجتمع، ووعيهم بما حولهم.

- اعتمد القرافي أسلوب الدفاع إذ رَدَّ على (٣٠) شبهة وسؤالاً، وأسلوب الهجوم إذ عرض (١٠٧) سؤال يرى أنه يتعذر على الآخر الجواب عنها، وكانت أهدافه عالية نبيلة، وإن اتسمت لغته أحياناً بالقسوة الجارحة.

- وُفِّق القرافي كثيراً في عرضه محاسن الشريعة

الإيجابية والعلمية والعملية، وإظهاره تميز الأمة في مجال العلوم: ما ابتكرته وما نقحته، وهذا الجانب من أهم الجوانب التي تولى بيانها وشرحها، ولا بد أنه كان عظيم التأثير في الآخر.

- أظهر القرافي أمانة علماء المسلمين وإنصافهم الشديد في حكاية أقوال الطرف الآخر على الرغم مما فيها من إساءة. وهذا مما يجب أن يلتزم به المحاور المسلم إذ هو لا يخشى من شيء.

- نبه القرافي أهل الكتاب على أخطاء منهجية فادحة يرتكبونها في حوارهم كتحريفهم معاني القرآن، وجهلهم بلغة العرب، ومخالفتهم إجماع المسلمين على معاني قرآنية مقررة.

- كما نبههم مراراً على مخالفتهم لتوجيهات كتبهم،

ومن ذلك إقدام النصارى على القتال وسفك الدماء،
وتخليهم عن المسالمة والموادة .

- كشفت الأمثلة التي أوردتها القراني على الآخرين
عن علم غزير، واطلاع واسع على ما للقوم من كتب
وموروثات وعادات، حتى إنه كان يراجع نسخاً من
التوراة ولا يكتفي بنسخة واحدة. وأفادت هذه القدرة
العلمية ضرورة إحاطة المحاور كذلك بكل ما لدى
محاوره.

- دلت دراسة كتابه على ثقة عالية بالنفس، وبالأمانة
وعلمومها، وهذا مما يجب أن يتحلى به المحاور ليكون
لكلامه تأثير ونفوذ لدى الآخر.

(ب) التوصيات:

- أوصي بإعادة تحقيق هذا الكتاب تحقيقاً علمياً دقيقاً، والنظر في أمر تهذيبه من الألفاظ الجارحة حتى لا تحول دون إفادة الآخرين منه، وترجمته إلى اللغات الحية.
- والعناية التامة بأمثاله من الكتب التي ناقشت أهل الكتاب جمعاً وإحصاءً ودراسةً ونشراً.
- كما أوصي بجمع الشبهات التي تفرقت في كتب العلماء وجمع أطراف الرد عليها، مما كتبه هؤلاء العلماء، ومما قام به العلماء من بعدهم، وأن يكون بأسلوب عصري تسهل قراءته وفهمه.

خلاصة الرسالة^(١)

باسمه سبحانه، وله الحمد

القراقي عَلمَ بارز من أعلام القرن السابع الهجري،
مراكشي الأصل، مصري المولد والوفاة، احترق ذكاءً
وتوقداً فمات عن ثمان وخمسين سنة، مخلفاً ثروة علمية
متميزة محررة، وقد كان هذا همّه في حياته فحرر أحد عشر
علماً في ثمانية أشهر، أو ثمانية علوم في أحد عشر شهراً.

أقام في القرافة مدة يسيرة فنُسب إليها، وطار
شهرته بها، ثم احتضنته مع أبرز شيوخه العز ابن عبد
السلام في ثراها.

شهد القراقي سقوط بغداد وانطواء الدولة العباسية،

(١) أُلقيت هذه الخلاصة في مؤتمر « الحوار مع الآخر في الفكر
الإسلامي » المذكور في ص ٩ .

وسقوط دمشق وانتهاء الدولة الأيوبية، كما شهد عودة الأمل الشارد، وقيام المجد المنهار في معركة عين جالوت، ثم جولات الظاهر بيبرس المظفرة في بلاد الشام ومصر، ومحاولاته استرجاع العراق الأسير.

لا نعلم إن كان القرافي شارك في شيء من تلك المعارك العسكرية أو لا، إلا أننا على يقين أنه كان في طليعة الكتائب المتأهبة في الميادين الفكرية، وكان يُلبّي نداء الأمة كلما استصرخت همم الغيارى، واستنجدت بعقولهم وأقلامهم.

ولهذا فيوم ألف بعض النصارى رسالة تتضمن خمس عشرة شبهة مشتملة على الاحتجاج بالقرآن على صحة مذهب النصارى هبّ القرافي ليكشف تلك الشبهات، وينقض تلك المقولات.

ولم يكتف بهذا بل إنه أحصى كذلك خمسة عشر
سؤالاً يوردونها على المسلمين وأجاب عليها، وربما أجاب
على سؤال من ثمانية عشر وجهاً .

كان هذا يمثل موقف الدفاع.

ثم جاءت جولة ثالثة تمثل موقف المبادرة والهجوم
فهاهو يورد على القوم مئة وسبعة أسئلة جامعة شاملة
ويطالب القوم بالاجواب عليها، وكان من الثقة بحيث كان
يرى أنه يتعذر عليهم الجواب عليها.

ثم إذا كانوا يستخرجون من القرآن ما يشهد لهم
- ظناً خاطئاً وتحريفاً متعمداً منهم - فهاهو يستخرج
من كتبهم أكثر من خمسين نصاً تتحدث عن نبي الإسلام
وأُمته تصريحاً وتلميحاً .

من هذه الجولات الأربع انتظم كتابه « الأجوبة
الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ».

ثلاثون خطوة منهم قابلتها مئة وستون خطوة من
القرافي، وكان هذا يعكس قوة الموقف الإسلامي وصلابته
في ميادين الصراع الفكري إلى جانب الصراع العسكري
الذي كان يشهد غروب الوجود الصليبي في الساحل
الشامي وقلاعه، عدا « عكا » المعقل الأخير التي لم تكتحل
عين القرافي بعودتها إلى أهلها، إذ توفي قبل تحريرها بست
سنوات، وقد ذكرها مرتين مستشهداً بما يقع للقوم فيها،
وهي مدينة من مدن متعددة غربية وغيرها ذكرَ القرافي ما
يفعلون فيها، مما يدل على اطلاع واسع على أحوال عصره،
وكان العالم في كفه ينظر إليه .

* ماذا يمكن أن نتعلم من القرافي؟

* * إن أبرز ما ميّز تجربة هذا العالم سبع إضاءات :

١ - علمه الدقيق الغزير الشامل بما لدى الآخرين من علم وثقافة وسلوك، وكتب وموروثات، وم حاجته لهم بما فيها بصورة استقرائية تامة، وكان في بعض الأحيان يشير إلى وقوفه على نسخ من التوراة مختلفة، مما يدل على تتبع جاد.

٢ - علمه الواسع الكبير بجهود العلماء السابقين في هذا الباب من المشرق والمغرب .

٣ - أمانته القصوى في ذكر أقوالهم وأنقالهم، وإنصافه لهم ونصيحته المخلصة لهم بطرح التقليد والتحرر منه.

٤ - ثقته الشديدة بنفسه وأحقية موقفه. ولهذا لم يبال

بقولهم إن الإسلام استخدم السيف بل عكس القضية وقال: نحن منسجمون مع أنفسنا، أما أنتم فكتابكم يأمركم بالمسألة ومع ذلك ملأتم الأرض بالدماء والأشلاء فمن أحق بالجواب منّا؟.

٥ - إشارات الدائمة بالأمة الإسلامية وعلومها ، وما تحقق على يد علمائها، واختصاصها بمعامل العلوم وأزمته.

٦ - إشارته المهمة إلى توافق التوراة والإنجيل مع القرآن في بعض المواضع. وهذا التوافق يدل على بقايا سلمت من التحريف، وهو من الموضوعات الجديدة بالبحث والتتبع والاستقصاء.

٧ - إنه لم يستعد السلطات الحاكمة على أي أحد، بل اكتفى بالمحاججة والجدل والحوار.

هذه الإضاءات السبع كلها مما يجب أن نتعلمه من
القراقي الآن.

* والآن فما هي أهدافه ؟

** كان القراقي يهدف إلى تقوية المسلمين وتثيتهم،
ودعوة الآخرين إلى الإسلام، ومن أفضل ما نستفيد منه
هنا أسلوبه المتمثل بما كتبه عن محاسن الشريعة الإسلامية،
وعما قدّمه المسلمون للإنسانية من علوم ابتكروها، وعلوم
قديمة صححوها ونقّحوها، وحرروها وطوروها، وبهذه
اللفتات سبق القراقي عصره، وبدا وكأنه يتحدث في
عصرنا .

هذا إلى جانب ما باهى به مراراً وتكراراً من المستوى
الحضاري للأمة متمثلاً بنظافة ظواهرها وبواطنها إلى حدّ
السخرية بتدني هذا الجانب لدى الآخرين .

إنني أدعو إلى إيلاء هذا المنحى الذي نحاه القرافي في إظهار محاسن الشريعة وفضل الأمة في تقدّم العلوم، أدعو إلى إيلائه أقصى العناية والاهتمام، واعتماده أسلوباً فعالاً في الحوار وتقديم أنفسنا إلى العالم .

ومما نستفيده من القرافي حديثه الممتع كذلك عن غنى التشريع الإسلامي وفقر ما لدى الآخرين، وذكره حقيقة مهمة جداً عن كثرة رجوعهم إلى أحكام المسلمين في حياتهم اليومية، مما يكشف التعايش السلمي بين المسلمين ومجاوريهم ومساكنيهم من أهل الملل الأخرى، وبهذا نرد على مَنْ يحاول الاصطياد في الماء العكر محاولاً زرع الفتنة بين المسلمين وأهل الذمة .

أما لغته فكانت من المتانة بحيث يمكنك وصفها

بأنها نحت في صخر، وليست هباءً يطير في الهواء، إلا أنه كان - أحياناً - إذا وصل إلى نقطة حاسمة أو وصل إلى ذروة الاشتباك كان لا يملك نفسه من الانفعال، فيصف الآخرين بصفات قاسية وربما جارحة، وقد ردد مراراً أنه لا يريد منهم دليلاً على صحة معتقدهم، وأنه يقنع منهم أن يصوروا مذهبهم تصويراً يقبله العقل فقط.

لهذا ولما تقدم أوصي بالاستفادة الجادة من كتابه هذا بعد تحقيقه تحقيقاً علمياً، والنظر في أمر تهذيبه من هذه الألفاظ، وترجمته إلى اللغات الأخرى، ففي المعلومات التي اشتمل عليها، وفي الأسئلة الكبيرة التي طرحها ما يثير استفهامات ضخمة في نفوس الآخرين، ويفتح آفاقاً واسعة من الحوار، والسؤال أسلوبٌ ذكيٌّ هادئٌ وإن كان يمنع النوم عن المسؤول..

سلام على القرافي حين خطت أنامله هذا الكتاب
الخالد، وسلام عليه منا اليوم وهو يرقد في سفح المقطم
بمصر هائلاً إن شاء الله برضا الله ورضوانه.

المصادر

١- الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة: للقراقي (ت):

٦٨٤هـ)، تح: د. بكر زكي عوض، مكتبة وهبة، القاهرة،

ط ٢ (١٤٠٧/١٩٨٧م).

٢- أدلة الوجدانية في الرد على النصرانية: للقراقي (ولاتصح

هذه النسبة، وقد نسب على الغلاف وعلى الصفحة الثالثة

إلى محمد بن صفى الدين الحنفى ٦٢٦-٦٨٤هـ، وهذا

تاريخ ولادة القراقي ووفاته)، تح: عبد الرحمن دمشقية،

(د.ن)، ط ١ (١٤٠٨هـ-١٩٨٨).

٣- إرشاد الحيارى في الرد على النصارى: للديرينى

(ت: ٦٩٤هـ)، مكتبة المليجي، القاهرة (د.ت).

٤- الاستغناء في أحكام الاستثناء: للقراقي، تح: د. طه

محسن، منشورات وزارة الأوقاف العراقية، بغداد، ط ١

(١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م).

- ٥- الأعلام: للزركلي (ت: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١١ (١٩٩٥م).
- ٦- الإعلام بمناقب الإسلام: للعامري (ت: ٣٨١هـ)، تح: د. أحمد عبد الحميد غراب، دار الأصاله، الرياض، السعودية، ط ١ (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).
- ٧- الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام: للقرطبي (ت: ٦٥٦هـ) تح: د. أحمد حجازي السقا. دار التراث العربي (د. ط. ت).
- ٨- الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير: لمشهور حسن محمود سلمان، ضمن سلسلة «أعلام المسلمين» برقم «٤١»، دار القلم، دمشق ط ١ (١٤١٣هـ / ١٩٩٣م).
- ٩- الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية: للطوفي (ت: ٧١٦)، تح: د. أحمد حجازي السقا. القاهرة (١٩٨٣م).

١٠- بذل المجهود في إفحام اليهود: للحكيم السموأل بن يحيى المغربي (ت: ٥٧٠هـ)، تح: عبد الوهاب طويلة، دار القلم، دمشق، ط ١ (١٤١٠هـ / ١٩٨٩م).

١١- بين الإسلام والمسيحية (مقامع هامات الصלבان): للخزرجي (ت: ٥٨٢هـ)، تح: محمد شامة، مطبعة المدني القاهرة، ط ٢ (١٩٧٥م).

١٢- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: للذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تح: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت.

١٣- تذكرة المحسنين بوفيات الأعيان وحوادث السنين: لعبد الكبير الفاسي (ت: ١٢٩٥هـ)، تح: محمد حجي، ضمن «موسوعة أعلام المغرب»، دار الغرب الإسلامي، ط ١ (١٤١٧هـ / ١٩٩٦م).

١٤- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: لابن تيمية (ت:

٧٢٨هـ)، تح: علي بن حسن بن ناصر وآخرين، دار
العاصمة، الرياض، ط١ (١٤١٤هـ).

١٥- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب: لابن
فرحون المالكي (ت: ٧٩٩هـ)، تح: د. محمد الأحمد
أبو النور، دار التراث، القاهرة.

١٦- رحلات أحمد بن عمر الأنصاري القرطبي (ت:
٦٥٦هـ) في المغرب والمشرق ومؤلفاته العلمية: لسمير
القدوري، بحث في مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، مج ٢،
العدد (١١) (٢٠٠٥-٢٠٠٦م) منشور على شبكة
المعلومات الدولية.

١٧- سير أعلام النبلاء: للذهبي، تح: مجموعة من المحققين،
مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١٠ (١٤١٤هـ / ١٩٩٤م).

١٨- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: لمخلوف (ت:
١٣٦٠هـ)، دار الفكر، بيروت.

١٩- العقد المنظوم في الخصوص والعموم: للقرافي، تح:

محمد علوي بنصر، منشورات وزارة الأوقاف المغربية،

ط ١ (١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م).

٢٠- علم الملل ومناهج العلماء فيه: للدكتور أحمد بن عبد الله

جود، دار الفضيلة، الرياض، السعودية، ط ١ (١٤٠٥ هـ

- ٢٠٠٥م).

٢١- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي: لابن تغري بردي

(ت: ٨٧٤هـ)، تح: د. محمد محمد أمين، الهيئة المصرية

العامة للكتاب، (١٩٨٤م).

٢٢- من هو القرطبي الذي رد على كتاب تليث الوجدانية

لنصارى طليطلة؟: لسمير القدوري. منشور على شبكة

المعلومات الدولية.

٢٣- نفائس الأصول في شرح المحصول: للقرافي، تح: عادل

أحمد عبدالموجود وعلي محمد معوض، مكتبة نزار الباز،

ط ١ (١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م).

٢٤- هدية العارفين: للبغدادى (ت: ١٣٣٩هـ)، مصورة

مؤسسة التاريخ العربي.

٢٥- هل القرطبي المفسر هو مؤلف كتاب الإعلام بما

في دين النصارى من الأوهام؟: للدكتور محمد بن

إبراهيم أبا الخيل (أستاذ مساعد في كلية العلوم العربية

والاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

بالقصيم). منشور على شبكة المعلومات الدولية بتاريخ

١٠/١١/١٤٢٣هـ - ٢٤/١/٢٠٠٢م.

٢٦- الوافي بالوفيات: للصفدي (ت: ٧٦٤هـ)، تح: مجموعة

من المحققين، منشورات فرانز شتايز شتوتكارت.

الفهرس

ص	الموضوع
٥	المقدمة وفيها خطة البحث
١٠	١- التعريف بالقرا في وكتابه
١٤	كتابه «الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة»
١٧	٢- أساليبه في الحوار
١٧	أ) أسلوب الدفاع
١٨	١- الرد على الشبهات المكتوبة
٢١	(تحقيق عن القرطبي محقق الإعلام)
٣٠	٢- الرد على أسئلة مثارة متداولة وموقعة
٣٦	ب) أسلوب الهجوم
٣٧	١- إيراد أسئلة على الطرف الآخر
٤٤	٢- إيراد البشائر بالنبي محمد ﷺ من كتبهم

٤٩	٣- أهدافه
٤٩	الهدف الأول: تقوية المسلمين وتثبيتهم
٥٢	الهدف الثاني: دعوة الآخر إلى الإسلام
٦٠	٤- لغته
٦٣	٥- مصادره
٦٥	الكشف عن مصادر مهمة مطوية
٦٩	٦- ملامح عامة في حوار
٧٥	٧- النتائج والتوصيات
٧٥	(أ) النتائج
٧٨	(ب) التوصيات
	خلاصة الرسالة الملقاة في مؤتمر: « الحوار مع الآخر
٧٩	في الفكر الإسلامي »
٨٩	المصادر
